



## وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، أَمَرَ بِتَرْكِیَةِ الْقُلُوبِ، وَتَطْهِيرِهَا مِنْ دَسِّ الدُّنُوبِ، وَنَهَى عَنْ ظَاهِرِ الْإِثْمِ وَبَاطِنِ الْعُيُوبِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأَثِي عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يُرَاقِبُنَا وَيَمْرُقِبْتَهُ أَمْرًا، يَعْلَمُ مَا ظَهَرَ مِنَّا وَمَا اسْتَتَرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرٌ مِنْ أَصْلَحِ قَلْبِهِ وَأَتْقَى، وَزَكَّى نَفْسَهُ فَارْتَقَى، - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالْمُلْتَقَى.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :  
لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ الْحَنِيفُ لِيَسْمُوَ بِالْكَائِنِ الْبَشَرِيِّ، وَيَرْتَقِيَ بِهِ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ، فَاعْتَنَى بِكُلِّ مَا يُصْلِحُ ظَاهِرَهُ، وَيُقِيمُ عَلَى الصَّفَاءِ وَجَدَانَهُ وَبَاطِنَهُ، عَمَلِيَّتَانِ مُتَكَامِلَتَانِ، حَرَصَ هَذَا الدِّينُ الْعَظِيمُ عَلَى اقْتِرَانِهِمَا مِنْذُ بَزْوَعِ فَجْرِهِ، وَسَطُوعِ شَمْسِهِ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ، فَكَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ الْخَالِدِ: ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ، وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ، وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ)) (١)، إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مُوجِزًا مُخْتَصِرًا لِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَنْشُدُهُ مِنْ إِصْلَاحِ لُبِّي الْإِنْسَانِ، وَفِي تَعَاقِبِ الْأَمْرِ بِتَطْهِيرِ التِّيَابِ وَهَجْرِ الْأَوْزَارِ، دَلِيلٌ عَلَى أَهْمِيَّةِ اقْتِرَانِ إِصْلَاحِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنْ أَجْلِ تَكَامُلِ عَمَلِيَّةِ الْإِصْلَاحِ، ثُمَّ جَاءَتْ آيُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ تُفَصِّلُ هَذَا الْإِجْمَالَ، وَتُوضِّحُ لِلْإِنْسَانِ النُّشْرِيَّاتِ الَّتِي تَضْمَنُ لَهُ السَّعَادَةَ، وَتُوصِلُهُ بَيْنَ الْمَخْلُوقَاتِ لِلرِّيَادَةِ، فَكَانَ مِنْ رِعَايَةِ الْإِسْلَامِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ الدُّنُوبِ، وَحَدَّرَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الْخَطَايَا وَالْعُيُوبِ، صِيَانَةً لِلْقُرْدِ وَوَقَايَةً لِلْمُجْتَمَعِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:



((وَدَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)) (٢)، إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَعْمَدُ إِلَى إِصْلَاحِ ظَاهِرِهِ، وَيَنْسَى الْعِنَايَةَ بِجَوْهَرِهِ، فَيُنَاسِي عَنِ الْمَعَاصِي الْعَمَلِيَّةِ وَالْآثَامِ الظَّاهِرَةِ، وَيَنْسَى الْعُيُوبَ النَّفْسَانِيَّةَ وَالْآفَاتِ الْقَلْبِيَّةَ، فَإِنَّ الدُّنُوبَ الظَّاهِرَةَ يَسْهُلُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَلْحَظَهَا بِنَفْسِهِ، أَوْ يُنَبِّهَهُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ، أَمَّا الْبَاطِنَةُ فَالْتَّفُسُ فِيهَا عَامِدَةٌ إِلَى الْمُرَاوَعَةِ وَالْكَثْمَانِ، وَقَلَّمَا يَلْحَظُهَا الْأَحِبَّةُ وَالْإِخْوَانُ، فَلَا يَجِدُ عَنْهَا نَاصِحًا، وَلَا يَلْقَى لَهَا خَلِيلًا مُصْلِحًا، وَلرُبَّمَا تَرَكَتْ فِي وَجْدَانِهِ، فَاسْوَدَّ قَلْبُهُ وَضَلَّ سَعْيُهُ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ الْمُؤَقِّينَ، وَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِزْبِ الْأَخْسَرِينَ، وَلِذَا لَمْ يُقَسِّمِ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا أَقْسَمَ عَلَى ضَرُورَةِ الْعِنَايَةِ بِإِصْلَاحِ النَّفُوسِ، حَيْثُ تَعَاقَبَ أَحَدٌ عَشْرَ قِسْمًا لِلتَّأْكِيدِ أَنَّ الْفَلَاحَ فِي تَرْكِيَةِ النَّفْسِ، وَالْخَيْبَةَ فِي إِهْمَالِهَا وَالتَّغَافُلِ عَنْهَا، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)) (٣)، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ لِنَفْسِهِ حِطًّا مِنْ عِنَايَتِهِ، وَحَرَصَ عَلَى تَهْدِيئِهَا وَرِعَايَتِهَا، فَبَحَثَ فِيهَا عَنْ مَوَاقِعِ الْخَلَلِ، وَتَأَى بِهَا عَنْ مَوَاطِئِ الزَّلَلِ، وَجَنَّبَهَا مَوَاطِنَ الرَّدَى، وَصَانَهَا عَنْ مَزَالِقِ الْهَوَى، فَإِنَّ النَّفُوسَ تَمِيلُ إِلَى شَهَوَاتِهَا، وَتَجَنُّحُ إِلَى أَهْوَائِهَا، تَطْلُبُ الرِّاحَةَ وَالِدَّاعَةَ، وَتَرْعَبُ عَنِ الْإِقْدَامِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْمُسَارَعَةَ، فَكَانَ لَا بُدَّ لَهَا مِنَ التَّهْدِيبِ، وَحَمَلِهَا عَلَى الطَّاعَةِ بِالتَّرغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، حَتَّى تَتَخَلَّى عَنِ الرَّدَائِلِ، وَتَتَحَلَّى بِجَمِيلِ الْقِصَائِلِ، فَتَكُونُ سَبَبَ سَعَادَتِنَا، وَمِفْتَاحَ فَلَاحِنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ :

إِنَّ مِنَ الْآثَامِ الْبَاطِنَةِ مَا يَكُونُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَرَبِّهِ، وَهُوَ أَشَدُّ خَفَاءً، وَأَكْثَرُ اسْتِتَارًا، يَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا الرِّيَاءُ، وَهُوَ أَنْ يُرِيدَ بِعَمَلِهِ الصَّالِحِ الْمَدْحَ وَالتَّنَاءُ، فَتَجِدُهُ يَصُومُ وَيُصَلِّي، وَيَحُجُّ وَيُزَكِّي، وَلرُبَّمَا أَكْثَرَ مِنَ النِّوَافِلِ وَالْقُرْبَاتِ، وَقَامَ بِشَتَّى صُنُوفِ الْبِرِّ وَالطَّاعَاتِ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَرُدْ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، بَلْ صَلَّى وَصَامَ لِيُقَالَ إِنَّهُ مِنْ خَيْرَةِ الْعِبَادِ، وَتَصَدَّقَ وَأَنْفَقَ لِيُظْهِرَ أَنَّهُ الْكَرِيمُ الْجَوَادُ،



وَهُوَ بِهَذَا يُصَادِمُ أَهَمَّ مُقْتَضِيَّاتِ الدِّينِ وَمَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ  
الْحَنِيفُ مِنْ ضَرُورَةِ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، وَالْعَمَلِ ابْتِغَاءَ رِضَاةِ  
يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ)) (٤)، وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ((فَمَنْ كَانَ یَرْجُوا لِقَاءَ  
رَبِّهِ فَلْیَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا یُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ  
أَحَدًا)) (٥)، إِنَّ دَاءَ الرِّیَاءِ یُحْبِطُ الْعَمَلَ وَیُضِیْعُ الْجُهْدَ، فَلَا  
یَكُونُ لِلْإِنْسَانِ حَظٌّ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ، وَرَبَّمَا  
حَظِي بِشَيْءٍ مِنْ الْمَدِیْحِ الْقَارِعِ وَالْحَمْدِ الزَّائِلِ مِنَ النَّاسِ،  
عَبَّرَ أَنَّهُ یَقُوتُهُ التَّوَابُ، وَیَخْسِرُ الْأَجْرَ فِي یَوْمِ الْحِسَابِ،  
یَقُولُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (رَبِّ صَائِمٍ حَظُّهُ  
مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرَبِّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ  
السَّهْرُ)، وَيَقُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (یُقَالُ لِلْمُرَائِي  
یَوْمَ الْقِيَامَةِ: خُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ عَمَلْتَ لَهُ، فَلَا أَجْرَ لَكَ  
عِنْدِي)، كَمَا أَنَّ الْمُرَائِي یَعِیْشُ فِي عَزْلَةٍ عَنِ رَبِّهِ الْمُطَّلِعِ  
عَلَى سَرِيرَتِهِ، فَتُحْبِطُ الظُّلْمَةُ بِقَلْبِهِ، وَیَجِدُ الْوَحْشَةَ حَتَّى  
مِنْ نَفْسِهِ، إِذِ ابْتَعَدَ عَنِ مُقْتَضِيَّاتِ الْإِيمَانِ وَمَوَارِدِ  
الطَّمَانِينَةِ وَالْأَمَانِ، فَهُوَ فِي تَعَبِ نَفْسِيَّ وَبَدَنِيَّ فِي دُنْيَاةٍ،  
لِأَنَّهُ یَعْمَلُ عَمَلًا لَا یَرْجُو مِنْهُ شَيْئًا فِي عَقْبَاهُ، وَذَلِكَ هُوَ  
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ - وَالْعِبَادَةُ بِاللَّهِ - .  
عِبَادَةُ اللَّهِ :

أَمَّا الدَّاءُ الثَّانِي مِنْ أَدْوَاءِ النُّفُوسِ، فَهُوَ دَاءُ الْعُجْبِ،  
الَّذِي قَدْ یُصِيبُ الْمُخْلِصَ، فِیضِیْعُ جُهْدَهُ، وَتَذْهَبُ ثَمَرَةُ  
إِخْلَاصِهِ، وَالْعُجْبُ هُوَ أَنْ یَرَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مُسْتَحِقًّا  
لِلنَّعْمِ، فِیَنْسَى الْمُنْعَمَ الْمُتَفَضَّلَ، وَیَعْرِضُ عَنِ شُكْرِ رَبِّهِ،  
كَمَا حَكَی اللَّهُ عَنِ قَارُونَ حِينَ نُصِحَ بِشُكْرِ النِّعْمِ وَذَكَرِ  
الْجَمِیلِ فَقَالَ: ((إِنَّمَا أُوتِیْتُهُ عَلٰی عِلْمٍ عِنْدِي)) (٦)، وَإِنْ  
تَعَجَّبَ فَاعْجَبْ لِحَالِ مَنْ أَوْجَدَهُ اللَّهُ مِنْ عَدَمٍ، وَبَسَطَ لَهُ مَا  
لَا یُحْصَى مِنَ النِّعْمِ، وَأَمَدَهُ بِسَائِرِ الْمَوَاهِبِ وَالْقُدْرَاتِ، ثُمَّ  
اشْتَعَلَ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعَمِ، وَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَرْتَعًا لِلْعُجْبِ  
وَالْعُرُورِ، نَاكِرًا لِإِحْسَانِ رَبِّهِ، مُتَنَكِّرًا لِجَمِیلِ مَوْلَاهُ، یَرَى  
نَفْسَهُ الْمُسْتَحِقَّ لِلْإِفْضَالِ، الْجَدِیرَ بِالنِّوَالِ، هَلْ تَرَاهُ



يَسْتَعِينِي عَنِ اللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟ أَمْ يَأْمَنُ أَنْ تَنْقَلِبَ النِّعْمَةُ إِلَى نِقْمَةٍ، وَالْمِنْحَةُ إِلَى مِحْنَةٍ؟ عِنْدَهَا يُهْرَعُ إِلَى اللَّهِ لَا بَسًا تَوْبَ الْإِخْلَاصِ، مُتَبَرِّئًا مِنْ عُجْبِهِ وَعُرُورِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ((هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِيَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن أُنجِيتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)) (٧)، إِنَّ دَاءَ الْعُجْبِ يُصَادِمُ مَا فَطَرَتْ عَلَيْهِ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةَ مِنَ التَّوَاضُعِ لِخَالِقِهَا، وَالاعْتِرَافِ لَهُ بِالْفَضْلِ وَالنِّعْمَةِ، فَالْإِنْسَانُ يَجِدُ قِمَّةَ رَاحَتِهِ، وَمُنْتَهَى سَعَادَتِهِ فِي سُجُودِهِ لِلَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ صَاحِبُ فَضْلٍ وَاسْتِحْقَاقٍ، شَقِيَّتْ نَفْسُهُ، وَأَظْلَمَ قَلْبُهُ، وَلَرَبَّمَا أَوْصَلَهُ ذَلِكَ - وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ - إِلَى التَّنَكُّبِ عَنِ أَوْامِرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَزِدْجِرْ عَنِ مَنَاهِي مَوْلَاهُ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ :  
لَقَدْ حَرَصَ الدِّينُ الْحَنِيفُ عَلَىٰ أَنْ يَعِيشَ النَّاسُ مَعَ بَعْضِهِمْ فِي جَوٍّْ مِنَ الصِّقَاقِ، وَأَنْ تَنْتَظِرَ النَّفُوسُ مِنْ كُلِّ مَا يَكْدُرُ النَّقَاءَ، أَوْ يُوجِّجُ بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَاتِ وَالشَّحْنَاءَ، فَجَاءَتْ التَّشْرِيعَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ نَاهِيَةً عَنِ جُمْلَةٍ مِنَ الْإِتَامِ الْبَاطِنَةِ، الَّتِي تُصِيبُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ بَنِي الْمُجْتَمَعِ بِالْكَدْرِ، يَأْتِي فِي مُقَدِّمَتِهَا دَاءُ الْكِبْرِ الْخَطِيرِ، الَّذِي حَذَرَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ أَقَلِّ الْقَلِيلِ مِنْهُ فِي قَوْلِهِ: (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ)، حَتَّى خَشِيَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ مِنْ أَنْ يَكُونُوا قَدْ وَقَعُوا فِيهِ مَعَ عَظِيمِ خَطَرِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبَهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَبَيَّنَ لَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ هَذَا لَيْسَ مَا يَعْنِيهِ، مُعَرِّفًا لَهُمُ الْكِبَرَ فِي كَلِمَاتٍ جَامِعَةٍ، فَقَالَ: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ



الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ)، أَي رَدُّ الْحَقِّ  
وَعَدَمَ قَبُولِهِ، وَاسْتِصْغَارُ النَّاسِ وَاحْتِقَارُ شَأْنِهِمْ، وَهَاتَانِ  
الصِّفَتَانِ لُهُمَا آثَارٌ سَلْبِيَّةٌ فِي الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ. إِنَّ  
الْإِنْسَانَ حِينَ يَتَعَالَى عَنِ قَبُولِ الْحَقِّ، وَيَنَازِعُ بِنَفْسِهِ عَنِ  
الْإِقْتِنَاعِ بِهِ رَعْمٌ وَضُوحٌ شَمْسِيٌّ، وَإِقَامَةُ حُجَّتِهِ عَلَيْهِ، كُلُّ  
ذَلِكَ يُؤَدِّي بِهِ إِلَى أَنْ يَسْتَنكِفَ عَنِ أَوْامِرِ اللَّهِ، مُحَكِّمًا  
نَفْسَهُ الْمُتَعَالِيَةَ فِيمَا يُقْبَلُ وَمَا لَا يُقْبَلُ، إِضَافَةً إِلَى مَا  
يُحَدِّثُهُ ذَلِكَ مِنْ انشِقَاقٍ فِي صَفِّ الْمَجْتَمَعِ لَوْجُودِ ثَلَاثَةٍ مِنَ  
النَّاسِ لَا تَقْبَلُ مِنَ الْحَقَائِقِ إِلَّا مَا وَافَقَ أَهْوَاءَهَا، إِنَّ  
احْتِقَارَ الْآخِرِينَ وَالنَّظَرَ إِلَيْهِمْ بِازْدِرَاءٍ، يُحَدِّثُ الْقِجَوَاتِ  
وَيُورِثُ الطَّبَقِيَّةَ بَيْنَ أُنْبَاءِ الْمَجْتَمَعِ، الَّذِينَ خَلَقَهُمُ اللَّهُ  
مُتَسَاوِينَ، لَا يَتَفَاضَلُونَ إِلَّا بِالتَّقْوَى وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ: ((يَا  
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا  
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)) (٨)، كَمَا أَنَّ  
احْتِقَارَ النَّاسِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ يُوجِّجُ بَيْنَهُمُ الْبَغْضَاءَ،  
وَيُشْعَلُ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَاتِ وَالشَّحْنَاءَ، وَلِذَا كَانَ الْكِبْرُ مُنَازَعَةً  
لِلَّهِ فِي سُلْطَانِهِ، وَتَطَاوُلًا عَلَى مَقَامِهِ وَعَلْيَائِهِ، كَمَا وَرَدَ  
فِي الْحَدِيثِ الْفُؤَسِيِّ: (الْكِبْرُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، مَنْ  
نَازَعَنِي فِيهِمَا قَصَمْتُهُ).

عِبَادَ اللَّهِ :  
إِنَّ مِنْ أَدْوَاءِ النَّفُوسِ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي الْعَلَاقَاتِ بَيْنَ  
النَّاسِ دَاءُ الْحَسَدِ، الَّذِي حَدَّرَ مِنْهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى: ((وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى  
بَعْضٍ)) (٩)، فَالْحَسَدُ مَعْنَاهُ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ الْعِبَادِ،  
وَمَا مِنْ اللَّهِ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ، وَهُوَ دَاءٌ يُتَعَبُ الْقَلْبُ،  
حَيْثُ يَظَلُّ صَاحِبُهُ فِي كَمَدٍ وَعَمٍّ كُلَّمَا أَزْدَادَتْ نِعْمَةٌ عِنْدَ  
إِنْسَانٍ، وَمَا أَكْثَرَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَيَظَلُّ مُتَحَسِّرًا عَلَى  
شَيْءٍ لَا يَدَّ لَهُ فِيهِ، كَمَا أَنَّ الْحَسَدَ يُشْعَلُ الْخُصُومَاتِ فِي  
الْمَجْتَمَعِ، حَيْثُ يَشْتَعِلُ الْحَاسِدُ غَيْظًا عَلَى إِخْوَانِهِ كُلَّمَا  
بُسِطَ لَهُمْ فِي رِزْقِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللَّهِ-، وَحَازِرُوا أَدْوَاءَ الْقُلُوبِ، فَإِنَّهَا



تُجَاهِدُ النَّفْسَ وَتُبْعِدُ عَنِ اللَّهِ، وَتَقَطِّعُ صِلَاتِكُمْ مَعَ بَنِي  
جَنَسِكُمْ، فَكُونُوا عَلَى الصَّفَاءِ دَائِمِينَ، وَبِالإِخَاءِ  
مُتْرَابِطِينَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ،  
فَأَسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ  
يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.  
\*\*\*                      \*\*\*                      \*\*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلَا عُدْوَانَ  
إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ  
لَهُ وَليِّ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ  
وَرَسُولَهُ إِمَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلَ خَلْقِ اللَّهِ  
أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ  
وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ  
الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ :  
لَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ أَمْرَاضُ  
الْأَبْدَانِ وَأَدْوَاءُ النُّفُوسِ، وَالْإِنْسَانُ مُطَالِبٌ بِأَنْ يَقِيَ نَفْسَهُ  
الْمَرَضِينَ، وَيَكُونَ بِمَنَآئِ عَنِ الدَّائِنِينَ، فَإِنْ أَصِيبَ فِي  
جِسْمِهِ أَوْ نَفْسِهِ، شَرَعَ لَهُ أَنْ يَضَعَ الدَّوَاءَ عَلَى الدَّاءِ،  
لِيَعِيشَ هُوَ وَمَجْتَمَعُهُ فِي رَاحَةٍ وَهَنَاءٍ، يَقُولُ النَّبِيُّ - صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (تَدَاوَوْا - عِبَادَ اللَّهِ-؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَا أَنْزَلَ  
دَاءً إِلَّا جَعَلَ لَهُ دَوَاءً)، فَإِنْ أَرَدْتَ - أَيُّهَا الْمُسْلِمُ - أَنْ تَكُونَ  
عَلَى الإِخْلَاصِ دَائِمًا، وَعَنِ الرِّيَاءِ مُبْتَعِدًا نَائِيًا، فَتُنْتَظَرُ  
قَبْلَ الْعَمَلِ فِي الْبَاعِثِ الَّذِي يَبْعَثُكَ، وَالدَّافِعِ الَّذِي يَشُدُّكَ،  
وَالْمَطْلُوبِ الَّذِي تَنْشُدُهُ، فَإِنْ وَجَدْتَ أَنَّكَ لَا تَبْتَغِي عِزَّ  
اللَّهِ، فَاحْمَدْهُ وَاشْكُرْهُ، وَإِلَّا صَحَّ الْعِزْمُ وَأَصْلَحَ النَّيَّةُ،  
وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَ لَيْسَ بِيَدِهِمُ النِّفْعُ، وَلَا يَمْلِكُونَ دَفْعَ  
الضَّرِّ، وَذَكَرَ نَفْسَكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَيْهَا رَقِيبٌ وَلَهَا حَسِيبٌ،  
وَأَنَّهَا مَجْزِيَّةٌ بِحَسَبِ وَجْهَتِهَا، وَأَعْمَالُهَا تُقَاسُ بِنِيَّتِهَا،  
يَقُولُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (إِنَّمَا  
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى)، إِنَّكَ حَتْمًا لَا



ثَرِيدٌ أَنْ يَحْبِطَ عَمَلُكَ، أَوْ تَخْسَرَ ثَوَابَ جُهْدِكَ، فَاجْتَهِدْ عَلَى أَنْ تُوجَّهَ قَسْدُكَ دَائِمًا لِلَّهِ، فَإِنَّ رِزْقَكَ اللَّهُ الْإِخْلَاصَ، وَأَحْسَنْتَ النِّيَّةَ فِي أَعْمَالِكَ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنَ الْعُجْبِ وَالْعُرُورِ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ النِّعَمَ وَالْمَرَآيَا، وَالْمَوَاهِبَ وَالْعَطَايَا، إِنَّمَا هِيَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ، يَقْدِرُ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - أَنْ يَسْلُبَكَ إِيَّاهَا مَتَى أَرَادَ، إِنَّمَا عَلَيْكَ الشُّكْرُ بِأَسْتِعْمَالِهَا فِي طَاعَتِهِ وَمَرْضَاتِهِ. فَإِنَّ أُيْقِنْتَ بِذَلِكَ عَلِمْتَ أَنَّ أَرْزَاقَ سَائِرِ الْعِبَادِ، هِيَ مَوَاهِبٌ مِنَ اللَّهِ، يُعْطِيهَا مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ، وَيَصْرِفُهَا عَمَّنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ، فَالرِّزْقُ قِسْمَهُ اللَّهُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ((أَهُمَّ يَفْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ)) (١٠)، عِنْدَهَا تَوْقِينٌ أَنَّ الْحَسَدَ لَا يَزِيدُ فِي رِزْقِ الْحَاسِدِ، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ رِزْقِ أَخِيهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَوْ مَاتَ صَاحِبُهُ كَمَدًّا، بَلْ كُلُّ إِنْسَانٍ يَنَالُ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ دُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، وَلَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَتَتَّعِشْ فِي طُمَأْنِينَةٍ؛ فَمَا كَانَ لَكَ سَيِّصِكَ، وَمَا لِعَيْرِكَ لَنْ تَنَالَهُ أَبَدًا، وَإِنْ رَغِبْتَ فِي مِثْلِ نِعَمِ إِخْوَانِكَ فَاسْعَ وَاجْتَهِدْ، دُونَ نِقْمَةٍ أَوْ حَسَدٍ، يُبَارِكِ اللَّهُ جُهْدَكَ، وَيَشْكُرْ سَعْيَكَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْعُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا)) (١١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلُقَانِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى



يَوْمَ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.  
اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ  
بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِيْنَا وَلَا مَعْنَا شَقِيًّا وَلَا  
مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَقَافَ وَالعَنَى.  
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا،  
وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا صَالِحًا زَكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا  
رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا  
حَلَالًا طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.  
اللَّهُمَّ أَعِزِّ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ،  
وَاجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَأكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ،  
وَأكْتُبِ السَّلَامَ وَالأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.  
اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أوطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالحَقِّ  
وَأَيِّدْ بِهِ الحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ.  
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ المِدرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ  
الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، المُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالعَشِيِّ  
وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ  
خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ  
أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.  
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ  
النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ  
رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.  
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ  
الخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، وَالمُسْلِمِينَ  
وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ  
مُجِيبٌ  
الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: (( إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي





الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَذَكَّرُونَ )) .